المقاربة الفنية في الفن المصري الحديث بين الموروث الحضاري والفنون العالمية الحديثة

مقالة بحثية

* رانيا عز الدين محمود محمد
* الدارسة بمرحلة الماجستير، قسم النقد والتذوق الفني ، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
البريد الإليكتروني: raniaezzeldin@outlook.com

تاريخ المقال:

- **تاريخ تسليم البحث الكامل للمجلة: 28 مايو 2021**
- **تاريخ تسليم النسخة المنقحة: 21 يونيو 2021**
- **تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 01 يوليو 2021**

الملخص:

تميز الفن المصري الحديث بالمقاربة الفنية بين الموروث الحضاري واتجاهات الفنون العالمية التي دعمت إنتاج معايير فنية مخالفة للغة والقيم التشكيلية والجمالية. واهتمت المقاربة الفنية بدراسة البنية الداخلية والخارجية لمدلول العمل الفني والاعتماد على التسلسل المنطقي في البحث والتفكير. ويعد الفن المصري الحديث ذا طبيعة جمعت بين ما هو موروث من قيم وعادات وما هو موجود على الساحة الفنية من ترجمة للمخزون الثقافي للفكر الفني العالمي. فقد تناول الفنان الأعمال الفنية بالدمج ليكوِّن خصوصية فنية للواقع المجتمعي المعاش بكل تجاربه وخبراته ومظاهره. حيث أسهمت الخبرة الجمالية التكاملية في انتقاء الأساليب الفنية ليتم بلورتها طبقًا لما تحدده المتغيرات العصرية والعالمية المتلاحقة لمواصلة التفاعل مع الآخر. فقد أسهم تعدد المخزون الكمي للفكر الفني في تنوع محصلة الخبرات الفنية بين التصورات والاحتياجات التي دعمت مقاربة الفكر الفني لتوظيف الخيال الإبداعي، ليتفاعل الفنان مع الموروثات من فن مصري قديم،..... كأحد المصادر والركائز لتشكيل الخبرة الفنية من لغة تشكيلية. فالفن المصري قديمًا وحديثًا يتسم بالمرونة والقدرة على تطور الفكر الفني كونه ليس كيانًا جامدًا، ولكنه كيان يستجيب لتطورات من مؤثرات محلية وعالمية، و تنوعٍ في فلسفة لغة التعبير من حيث تناول الخامة والتقنيات لتطويع الصيغ الفنية لتأكيد المضمون التعبيري الذي ينشده. ولم ينفصل الفنان عن الواقع ، فقد ذخرت الساحة الفنية المصرية بفنانين أثْرَوا الحياة بأعمالهم التي تناولت الواقع والبيئة المعاشة بأسلوب واتجاه تمتزج فيه الأصالة بالخصوصية والدلالات الفنية التي واكبت وقاربت التحولات والاتجاهات العالمية، وذلك بدرجة عالية من الفكر الواعي والمستقل، لتأصيل الهوية المصرية بالخبرة الشمولية من تكامل وتقارب في المعارف والاتجاهات لتكون بمنزلة المحفزات لمقاربة وربط الماضي بالحاضر.

الكلمات المفتاحية المقاربة الفنية - الموروث الحضاري المصري - المقاربة العالمية - الفن المصري الحديث.

مقدمة:

تميزت الحركة الفنية المصرية في العصر الحديث بمقاربة فنون الحضارات المصرية القديمة والفنون العالمية. فجاء الفن المصري الحديث حاملًا بين طياته خصائص جمالية لها صفات الموروث الحضاري، ويواكب في الوقت ذاته الاتجاهات الفنية العالمية، بما تطرحه تلك الاتجاهات على الساحة الفنية من أفكار وأساليب تشكيلية جديدة، ليصبح الفن المصري مدرسة فنية متميزة بخصائص تشكيلية وجمالية وتعبيرية، تختلف في مضمونها عن الفنون الأخرى على جميع المستويات الإقليمية والدولية، بما تحمله من دلالات تعبيرية متجانسة مع الموروث الحضاري ومعايير الفكر العالمي المتجدد في آنٍ واحد.

مشكلة البحث:

يتقارب الفن المصري الحديث في الفكر والفلسفة مع فنون الحضارات المصرية القديمة؛ كونه محمَّلًا بالأفكار والقيم التعبيرية التي تحمل في مضمونها صفات الحياة والسلوك الإنساني الموروثة منذ القدم، كما أنه يتقارب مع الاتجاهات العالمية تقاربًا فنيًّا وجماليًّا ينعكس في البنية الخارجية والداخلية وما يحمله من صفات شكلية ودلالات. وتتضح مشكلة البحث من التساؤل التالي:

1. ما خصائص المقاربة الفنية في الفن المصري الحديث بين الموروث الحضاري والفنون العالمية؟

فرض البحث:

1. يمكن من خلال دراسة المقاربة الفنية الكشف عن العلاقة بين القومية والعالمية في الفن المصري الحديث.
2. يمكن المقاربة الفنية في الفن المصري الحديث بين الموروث الحضاري والفنون العالمية.

أهداف البحث:

1. الكشف عن خصائص المقاربة الفنية في إبداعات بعض الفنانين المصريين في العصر الحديث.
2. التعرف على المقاربة الفنية القومية والعالمية في الفن المصري الحديث.

أهمية البحث:

1.بيان أهمية المقاربة الفنية في دراسة الفن المصري الحديث.
2.تأصيل معنى القومية في الفن المصري الحديث.
3.إظهار فرادة الفن المصري الحديث.

حدود البحث:

تقتصر الدراسة على تطبيق خصائص المقاربة الفنية على بعض النماذج من التصوير المصري الحديث.

منهجية البحث:

يتبع البحث المنهج التحليلي على النحو التالي:

الإطار النظري و يشمل:

دراسة مفهوم المقاربة الفنية.

دراسة المقاربة الفنية للموروث الحضاري في الفن المصري الحديث.

دراسة المقاربة الفنية العالمية في الفن المصري الحديث.

خصائص المقاربة الفنية في الفن المصري الحديث.

الإطار العملي و يشمل:

تطبيق خصائص المقاربة الفنية في نماذج من التصوير المصري الحديث.

مفهوم المقاربة الفنية:

أولًا: معنى المقاربة-Approach:

المقاربة من المفاهيم التي ظهرت حديثًا في المجتمعات نتيجة التطور في عملية التواصل بين الثقافات والحضارات المتنوعة بشقيها (المشتركة والمختلفة). و قد تم تناول مصطلح «المقاربة» في الأدبيات التربوية من خلال المراجع الأدبية والندوات والكتب والوثائق. ويقصد من خلالها تقريب المفاهيم والمعارف (المعاني) إلى ذهن المتلقي وجعلها قابلة للفهم والاستيعاب في ظل الإمكانات المتاحة، عن طريق الرؤية المنهجية التي يصدرها الباحث وتقوم على التوصيف والتصنيف والرصد. وتُعنى المقاربة بدراسة المجتمع في نظامه المتوارث من خلال الأنساق المتقاربة لأفراد المجتمع بالطريقة التي يتناول بها الباحث موضوع من الموضوعات، بما يستوجبه ذلك من وضع منهجية تأخذ بعين الاعتبار مختلف العوامل التي يمكن أن تتدخل في الموضوع. وتتنوع طرق وأشكال التعامل مع العمل وتتباين الدراسات بحسب مستويات الدراسة من «التحليل، وطبيعة المحلل، والهدف...». كما تهتم المقاربة بدراسة العلاقة بين الثقافة والمحيط وكذلك العلاقة بين الإنسان والطبيعة. وتعرف المقاربة بكونها «دراسة تُعنى بالمجتمع في نظامه المتوارث من خلال الأنساق المتقاربة لأفراد المجتمع». كما أن المقاربة تتسم «ببعض التمايز تبعًا لحدة وعي كل باحث بإشكال تطبيق النظريات

ذات الأصول المعرفية والثقافية الخاصة بها على النصوص المنبثقة من سياقات حضارية وثقافية مغايرة». وتتميز المقاربة بتعددها وتنوعها في المفهوم، فمن خلال التنوع تتيح اختيار أنسب طرق الاستفادة وتحديد التوظيف، ونوع مجال الدراسة الذي يتم تناوله. وكذلك الموجود من قوانين الجشطالت «قانون التقارب: الأشياء المتقاربة في الزمان والمكان يسهل إدراكها على هيئة صيغ مستقلة بعكس الأشياء المتباعدة». وورد في معاجم اللغة العربية المعاصرة أن الأصل اللغوي لمدلول مصطلح المقاربة هو الآتي: «مقاربة: وهي مفرد، لمادة (قرب) أي الدنو والاقتراب، مع السداد وملامسة الحق». وأيضًا «المقاربة (قرب)، (مصدر: قارب)، (مقاربة نص: النظر فيه، وتحليله لمعرفة أوجهه)». و«قارب في الأمر (أي) ترك المبالغة وقصد الاعتدال والاستقامة». والمفعول لمصطلح (مقارب) يعني كيفية معالجة الموضوع (أي) «عالج المشكلة بمقاربة منطقية».

المقاربة الفنية:

ترتكز المقاربة الفنية على الاهتمام باستكشاف الصفات والخصائص الفنية التي «تجمع بين السمات في التركيب الصوري والسمات في الدلالة الصورية وطرق التوليف بينهما من خلال الأشكال الهندسية geometric forms، والأنماط الدلالية semantic types... وتتمثل في علاقة الشكل form، بالمعنى meaning، في البحث اللغوي قديمه وحديثه. وهو إشكال على الرغم من التطور النظري الهائل الذي حققته المقاربات الحديثة لظاهرة الجمع بين الأصوات والمعاني». وكيفية إظهار المقومات الجمالية للعمل الفني والسعي الدؤوب للوصول إلى هدف الرؤية الخاصة للفنان، والتركيز «على المعطيات الشكلية من جهة، والمقاربات اللغوية والأسلوبية والإيقاعية والتركيبية والبنائية» لمتقاربات الشكل التشكيلي. ليتضح مدلول ومفهوم وأهمية العمل الفني وما يرسخه ليحدُث تألف متكامل بين أجزائه، وبما يتضمن من مضامين وأحداث تاريخية وقضايا متعلقة بالمجتمع،«وفهم الطبيعة البشرية بطريقة دقيقة تعرض القيم الفنية في تلاحم عناصرها وتماسكها». وكذلك دراسة البنية الداخلية والخارجية لمدلول العمل الفني وكل ما يتعلق به ابتداء من مرحلة التكوين والتأويل القائم على الأسس المنطقية دون إغفال التنوع في التأملية الذهنية (للفنان والمتلقي). كما تجمع المقاربة الفنية بين طياتها التسلسل المنطقي في البحث والتفكير بين الدلالة وقراءة الشكل الفني كونهما يكملان بعضهما، لما يتضمن «كل حقل دلالي بيان العلاقات بين معانيها وكذلك كلمات المشترك اللفظي وتحليل المعني الواحد إلى عناصره التكوينية المميزة»، من دون أن يستشعر المتلقي غرابة العمل. فتسهم من خلال الإيضاح والتركيز على البنى السردية والجمالية والأسلوبية، ودراسة الأجزاء بما تحتويه من عناصر وصفات وما يقاربه ويستثمره الفنان من مفردات تخضع «للواقع أو للخيال» كامتداد لفكره الفني، وكيفية عرض المضمون ولغة وأداة التوصيل لتتوافق مع اكتمال الوظيفة. حيث إن الفن يدعم التوازن بين الإنسان والعالم الذي يعيش فيه، وهو ما عبر عنه المصور موندريان من كون الفن «سيختفي عندما تصل الحياة إلى درجة أعلى من التوازن». كما تدعم المقاربة الفنية خلق صور ضرورية وليست في الغالب جمالية، وهو ما أشار إليه المخرج الفرنسي روبير بيرسون الذي يقول «إن الرسم قد علمه أن يخلق صورًا ضرورية وليس صورًا جميلة». وتعني المقاربة الفنية «الوسائل أو البنى التي يمكنها أن تشترك في هذه الوسائط المختلفة (الفنون التشكيلية والسينما) والاشتغال والتعبير ضمن منظومة واحدة»، وعزل بعضها عن بعض في ذهن «المتلقي» لمعرفة العلاقة بينها وبين غيرها، فيبدأ بالكليات ليصل إلى الجزئيات، أو العكس، وأيضًا عند التعامل مع الوسائط، «وهي عملية تحول يقوم فيها فنان أو مبدع معين بالتحول من وسيط إلى وسيط آخر دون أن يتجاوز وسيطه الأول».

تستخلص الباحثة من المقاربة الفنية العناصر التالية:

1. تهتم المقاربة الفنية بدراسة البنية الداخلية والخارجية لمدلول العمل الفني.
2. يتم تقسيم العمل الفني فيبدأ بالكليات ليصل إلى الجزئيات أو العكس.
3. الاعتماد على التسلسل المنطقي في البحث والتفكير.
4. العمل الفني عمل مدروس ويخضع لرؤية وفكر الفنان.
5. العمل الفني لغة تواصل قد يختلف أو يتقارب مع المتلقي في كيفية عرض المضمون.
6. يقاس مدى نجاح العمل بمدى اكتمال وظيفته وتوصله للهدف، ونجاح الطريقة التي يتم بها التعبير.
7. يهتم العمل الفني بخلق صور ضرورية وليس في الغالب صورًا جمالية.

8.المقاربة الفنية تدعم «المدلول والمفهوم والأهمية» التي يرسخها كل عمل فني.

المقاربة الفنية مع الموروث الحضاري المصري:

يعني مصطلح الموروث (Inheritance) الإرث الذي يتركه الشخص المتوفى من حقوق وممتلكات لورثته. وبشكل أعم هو نتاج ومحصلة ما يكتسبه الفرد داخل مجتمعه من عادات وتقاليد وقيم متعارف عليها تتشكل عبر الفترات الزمنية في ثقافة المجتمع وتُترجم في فكرة وسلوكه الذي تتوارثه الأجيال فيما بعد، من أنماط السلوك الذي يشتمل على «عادات، وتقاليد، وفنون ومعتقدات فكرية، ومقتنيات مادية، وإرث شفهي وما يشمله من مأثورات شعبية كالقصص والحكايات، والتقاليد غير المكتوبة التي تتم ممارستها خلالها المناسبات مثل المهرجانات، والكرنفالات، والطقوس». فالموروث صنعه الإنسان بجهده في محيطه، وهو الذي يحدد «الأساليب الحياتية أو هي طريقة في التفكير والشعور والمعتقدات. إنها معلومات الجماعة البشرية مخزونة في ذاكرة أفرادها أو في الكتب أو في المواد والأدوات»

ويختص مصطلح الحضارة (Civilization) بوضعية خاصة في سياق أدبيات الفكر المعاصر من حيث تعدد التباينات في المفاهيم والتعريفات والآراء، وتعد معظم تلك التباينات فكرية وليست لغوية. وقد بلور ابن خلدون مفهوم الحضارة في كونها نمطًا من الحياة المستقرة، وتطلق على مجتمع تجانس وتميز بطابع خاص، ومنها ما يعبر عن ارتقاء المجتمع عن المستويات البدائية. ويرى ابن خلدون أنها طور طبيعي يحدث في مختلف المجتمعات البشرية، وأن جميع الحضارات كانت في البداية مجتمعًا يعيش حياة البداوة، ثم ما لبثت أن توسعت شيئًا فشيئًا. وانتقلت من جيل إلى جيل آخر إلى أن صارت حضارة غنية بمكوناتها وعناصرها. وأظهر الفيلسوف الإنجليزي توينبي Twinby Arnoled أن الحضارة عائدة إلى استجابة الإنسان لتحديات الطبيعة. وأن الحضارة في مفهومها «مجموعة منظمة من الاستجابات التي تعلمها الأفراد داخل المجتمع وتميزه عن المجتمعات الأخرى... والتي يتم تناقلها كموروث ثقافي». ويعرف تايلور عالم الأنثروبولوجيا الإنجليزي الحضارةَ بأنها كيان معقد يشتمل على الآداب، والفنون، والعادات، والتقاليد، ومختلف القوانين التي يكتسبها الفرد لكونه فردًا في المجتمع. وبدراسة الحضارة عند هيجل نجده لا يدرس الحضارة بشكل منفصل عن الفن، فهو يرى أن الفن يعبر عن الحقيقة. ولذلك «تناول الفن والثقافة بوصف الفن أحد مظاهر الثقافة ذاتها، ولذلك فإن دراسة الفن والحضارة تعني تحليل القضايا الرئيسية في فلسفة الفن عند هيجل، لأن الحضارة أو الثقافة Bildung تجسد لديه -على نحو عيني وملموس- جدلية الإنسان ووضعه الاجتماعي، وبالتالي يصبح الفن -من خلال الحضارة- تعبيرًا عن الجوانب الأنطولوجية و الإبستمولوجية لمرحلة الوعي الإنساني وتطوره». وهو ما أكده أن «الطابع الجدلي لرؤية هيجل الجمالية هو الذي حتم علينا أن نضع كلمة الحضارة Civilizationبجانب الفن- Art؛ لأنه لا يمكن دراسة الفن عند هيجل بمعزل عن التاريخ والثقافة والحضارة، ولأنه ببساطة إذا تأملنا تاريخ الفن سنجد أنه يعكس تاريخ الإنسان بصورة من الصور.، فالفن يصور لنا مسيرة الحضارة الإنسانية وسمات الشعوب وأفكارها وتصوراتها الدينية والجمالية، ويمكن دراسة الذات القومية لأية أمة من الأمم من خلال دراسة فنها ودينها وفلسفتها».

يعبر الموروث الحضاري المصري عن قوة ومتانة التركيب البنائي والأيديولوجي للتاريخ والحضارة المصرية وما تحويه من نواتج ثقافية أدت إلى تفاعل الفنان داخليًّا مع بيئته وخارجيًّا مع العالم المحيط. حيث يعد الفن المصري الحديث ترجمةً لما تم استيعابه من منجزات حضارية وأطوار إيجابية وسلبية على حد سواء، حيث توافرت له القدرة على الاختيار نتيجة المحصلة المعرفية والنسقية والنوعية التي مكنته من إفراز نتاج إنساني استوعب الامتزاج والتفاعل بين التصورات والاحتياجات كونه مليئًا بالمظاهر المتنوعة من دلالات فنية تظهر من خلاله القدرة الإبداعية والابتكارية كترجمة للتمسك بالقيم الدينية والعادات الاجتماعية القائمة على الفطرة وهو ما دعمه الفكر المعرفي الممتد من حيث تعدد الأزمنة وتنوع المساحات. حيث «يتميز المجتمع الإنساني المصري بأقدميته التاريخية التي شكلت مع المراحل التاريخية التي مرَّ بها استمرارية القبول لسلطات القيم والعادات والتقاليد والأعراف المصرية، التي حافظ على الكثير من فاعليتها ومحتواها وتأثيراتها والقبول بها، على الرغم مما مر به من ظروف ومتغيرات متنوعة ومتعددة ومركبة».

وهو ما دعا الكثير من الفلاسفة والمؤرخين عند دراسة الجوانب الشخصية المصرية إلى المقاربة مع الموروث الحضاري كترجمة لما تعكسه الأعمال الفنية كدلائل للظواهر الثقافية والمعنوية

والمعرفية التي تتسم بالمرونة، فقد «كشفت بعض البحوث الخاصة بالتحليل النفسي بزعامة سيجموند فرويد عن أن الشخصية لا يمكن أن يتحقق لها التكامل إلا إذا استطاعت أن تحقق لنفسها الاستمرارية التاريخية» من إظهار الموروث الحضاري في التاريخ الفني المصري كقدرة فكرية في تطوير المكتشفات، لينتج عالمًا من المنتجات مهدت السبل للمجتمعات المختلفة للتقارب والتواصل في الآراء والأفكار. فاستمد الفنان المصري الحديث من الموروثات الحضارية الحلولَ العصرية والخبرات الشعورية واللاشعورية، ليعبّر من خلالها عن الهوية الفنية الحديثة، لتضيف للخبرة طابعًا فنيًّا فريدًا بما يميزه من إرث قائم على مكونات ومظاهر خاصة، وهوية مستقلة أدت إلى تأصيل كل مكوناته والاعتزاز بها، كونه ترجمةً لما تحتويه الأفكار الفنية من مستقبِلات متباينة للانطباعات.

لا يُعتد بكون الموروث الحضاري المصري مجموعة هائلة من المقتنيات والآثار المادية فقط، فهو أيضًا يحوي بين طياته التعبير المعنوي لفكر المؤثرات السلبية والإيجابية المحيطة. فهو عالم قائم بذاته لما يوفره من معطيات كمصدر للإلهام والإبداع ليكون بداخله مقاربة في الخبرات لتحقق التكامل والاندماج وتعزيز الروابط بين الماضي والحاضر، لِيُسْهِم في زيادة الخبرات الفنية والعملية التي لها انطباع مقارب من هوية الفرد والجماعة، لمواصلة التعايش والتفاعل مع الآخر والمحافظة على استمرارية المجتمع.

وتستخلص الباحثة خصائص المقاربة الفنية مع الموروث الحضاري في العناصر التالية:

1. أفرز الموروث الحضاري المصري تنوعًا في محصلة الخبرات الفنية.
2. الدلالات الفنية المتنوعة تظهر القدرة الإبداعية والابتكارية.
3. الفن إنتاج إنساني استوعب الامتزاج والتفاعل بين التصورات والاحتياجات.
4. تكامل واندماج الفن يتيحان له مواصلة التعايش والتفاعل مع الآخر.
5. الموروث الحضاري المصري بأقدميته التاريخية شَكَّل الاستمرارية.
6. تضيف للخبرة طابعًا فنيًّا فريدًا من إرث قائم على مكونات ومظاهر متباينة للانطباعات.
7. يوفر الفن معطيات تشكيلية متنوعةكمصدر للإلهام والإبداع.

المقاربة الفنية مع العالمية في الفن المصري الحديث:

يعد الفن المصري الحديث ترجمةً للمخزون الثقافي للفكر الفني العالمي نتيجة لمقاربة الاتجاهات العالمية الحديثة، فهو يعد عالمًا قائمًا بذاته استمد منه الفنانون المصريون الخبرات بجانب الموروث الحضاري، ليكون مصدرًا للإلهام وإبداعات الفنانين. فقد تمكنت الثقافة العالمية من اختراق الكثير من المجتمعات والأفكار عبر التوظيف المستمر لمدركات الحياة الحديثة، وتسخير الأنماط والمفاهيم والاتجاهات العالمية بجميع الآليات المتاحة ليتم المزج والدمج مع الواقع. فقد أسهم التطور الذي صاغه الرعيل الأول من الفنانين (محمود مختار، راغب عياد، محمود سعيد...) في مقاربتهم من الفكر الفني العالمي نتيجة المؤثرات الداخلية والخارجية. فمع قدوم الحملة الفرنسية على مصر صاحبت « الحملة مجموعة من العلماء والمؤرخين والمهندسين والفنانين التشكيليين، ومنها بدأ الاحتكاك بين فنون الشرق والغرب من خلال أعمال مصوري الحملة»، وتلا ذلك البعثات التي أرسلها محمد علي، والمستشرقون الذين تم الاستعانة بهم لتزيين القصور والميادين العامة وإضفاء الطابع الجمالي عليها، وافتتاح مدرسة الفنون الجميلة واستقدام مدرسين أجانب لتدريس الفكر والفن السائدين عالميًّا- أدت تلك المقومات إلى التواصل الفكري العالمي الذي دعم ارتباط فنانين الجيل التالي بالتقدم وصياغة الفكر والوجدان بطرق تنويرية حديثة تدعم الفكر الفني الحديث من مقاربة وتوافق تارة وتمرد وتناقض تارة أخرى، كلٌّ بما يتوافق مع فلسفته. كانت مقاربة الفكر الفني الخاص بالحركة التقدمية العالمية للفنون في مصر «بمثابة تغير في الأسلوب والمناخ، وبخاصة بعد تراجع حركة الحداثة، حيث أدى انفتاح الفن على اللانهائية إلى البحث عن وسائل جديدة للتعبير» من تنوع ودعم لإنتاج معايير فنية مخالفة للغة والقيم التشكيلية والجمالية الموجودة في تلك الفترة. حيث دعمت وسائل التواصل في ذلك الوقت -من بعثات واستقبال مصر لرعايا بعض الدول الغربية نتيجة الحرب العالمية الثانية- التغيرات المتسارعة للمجالات المتنوعة، فسهلت نقل الأنماط المختلفة وتطويرها. وأسهم التواصل والتقارب في انتشار تلك المتغيرات كثقافة عالمية جديدة. حيث أثر فكر التقارب في دعم «التنوع الثقافي للقوميات المختلفة، لأهميته في بزوغ الطابع المحلي للفن المصري الحديث». كما

أسهم تعدد الأيديولوجيات الفكرية والمجتمعية من تنوع الأفكار المستحدثة المرتبطة بالرؤية الإبداعية وتناول فكر التجريب واتساع الخيال الإبداعي في «توسيع المدرك البصري والمدرك الفكري». وأسهمت مقاربة الفكر الفني العالمي والاتجاهات العالمية في مقاربة الخبرات الفنية، وإكسابها تنوعًا في المفاهيم وتعددًا في الرؤية لدعم الفكر الفني المصري بوجه خاص والنهوض بالفكر الثقافي بوجه عام، من تغير في المقومات الحياتية ومواكبة لحركات التحرر والتحديث الفني. فكانت لها الأثر في ظهور أعمال فنية تعظم الشعور بالحس الوطني والبحث عن الذات بأسلوب يتسم بالمرونة ويحقق التطور والتكامل، وتأصيل الهوية المصرية بالخبرة الشمولية من تكامل وتقارب في المعارف والاتجاهات. كما دعمت المقاربة توظيف الخيال الإبداعي الفني في إنتاج أعمال فنية تؤصل العلاقة بين الفكر والإبداع لبناء توجهات لثقافة فنية مصرية حديثة، وما تتضمنه من تطور في المستحدثات من أفكار وعادات وتقاليد لأنماط السلوك المتغيرة التي أسهمت وأتاحت مواصلة التفاعل للتعايش مع تغيرات وآليات العصر، في ظل التغيرات التشكيلية والبصرية والفكرية العالمية والاندماج مع كل جديد

وتستخلص الباحثة خصائص المقاربة الفنية مع الفن الحديث في العناصر التالية:

1. ارتبطت الحركة التقدمية العالمية بالفنون المصرية.
2. دعمت الثقافة الفنية العالمية إنتاج معايير فنية مخالفة للغة والقيم التشكيلية والجمالية.
3. دعمت المقاربات الفكرية الفنية العالمية توظيف الخيال الإبداعي.
4. تأصيل الهوية المصرية بالخبرة الشمولية من تكامل وتقارب في المعارف والاتجاهات لتكون بمنزلة المحفزات لمقاربة وربط الماضي بالحاضر.

المقاربة الفنية بين الميراث القومي والعالمي في الفن المصري الحديث:

قام الفن المصري الحديث على المقاربة الفنية بين الموروث الحضاري والفنون العالمية، محققًا قيمًا تعكس روح العصر وتستفيد من الخبرات المرئية للأعمال الفنية التي ترسخ قيمة الوعي التاريخي بالجذور التراثية، وتأصيل الهوية المصرية بالخبرة الشمولية من تكامل وتقارب في المعارف والاتجاهات لتكون بمنزلة المحفزات لمقاربة وربط الماضي بالحاضر لاستقبال المستقبل بجميع تطوراته التقنية وما له من تداعٍ بصري، ليضيف للعمل الأسلوب الرمزي الذي يبعث للمتلقي الدور الإيجابي في الاستكشاف والتأمل والتفسير والكشف عن ثنايا العمل الفني. وقد ظهر ذلك في إبداعات غالبية الفنانين المصريين في العصر الحديث نذكر منهم:

عفت موسى ناجي (1905: 1994م).

عبد الهادي الجزار (1925: 1966م).

رمزي السيد مصطفى (1926: 2015م).

1- المقاربة بين الفنون المصرية والاتجاه التعبيري عند عفت ناجي (1905: 1994م)

الفنانة عفت ناجي إحدى رائدات التحديث في الفن المصري الحديث. تميزت بتناولها الأبعاد والاتجاهات الفكرية المتنوعة في الفن، وذلك من خلال مشوارها الفني. فقد تناولت فكر وفلسفة الموروث المصري كصياغة فنية في أعمالها المتمثلة في الفن الشعبي، حيث صاغت به اتجاهها الخاص في الفن المصري الحديث. فقاربت الفكر الفني العالمي من اتجاهات متعددة، فهي تتقارب مع فن التجميع تارة واستخدام الخامات البارزة - طبيعية أو جاهزة- على مسطح تارة أخري (الكولاج). كما صاغت مفردات من مخطوطات الفن الشعبي لتكوّن وحدات تشكيلية فنية تتسم بالإبداع تمهد من خلالها لفكر ما بعد الحداثة. كما قاربت في العديد من أعمالها الاتجاه التجريدي التعبيري، حيث عبرت عن الريف المصري في لوحة على مسطح من الخشب (الغوازي في السوق) يظهر فيها التغيرات في مفهوم القيمة التعبيرية من التبسيط التجريدي للعناصر. ويتسم العمل بالفطرة وبحس تعبيري يحمل بين طياته مقاربة جماليات الموروث المصري الكامن في الفنون الشعبية من تلقائية وبساطة التعبير. كما قاربت الوجوه في العمل من وجوه الفيوم، في تشكيل للشخصيات النسائية ذات الملامح المختلفة والعيون البيضاء الواسعة التي تحمل نظرات تعبيرية حادة أو مترقبة أو مرهقة.

وقد استخدمت درجات لونية تتقارب مع الفن الشعبي لإضفاء معنى البهجة والبساطة رغم ما يتسم به العمل من «الغموض الميتافيزيقي في الشبكات الهندسية المطلسمة الطوطمية». فهي تعطي انطباعًا بالتعويذات المستوحاة من الأساطير المختلفة. واستخدام الزخارف الشعبية والرموز و«الخلطات اللونية

المطاطية والفسفورية المباشرة مع خطوط التحديد والمساحات السوداء السميكة واللماعة» والخطوط السوداء العريضة لتكَوِّن تكوينات وعناصر هندسية تميل لشكل الأحجبة، إلى جانب الكتابات التي تم صياغتها كحلول تشكيلية للفراغات. وقد ساد في العمل الفني البناء التصفيفي الرأسي والأفقي كدلالات لاستمرارية الميراث الحضاري في بنائية العمل الفني.

الفنانة: عفت موسى ناجي،سم العمل: الغوازي في السوق، سنة الإنتاج: 1964م، الخامة: زيت وخامات متنوعة على أبلكاج، الحجم: 87سم×117سم.

2- المقاربة الفنية بين الفن الشعبي المصري والسريالية عند عبد الهادي الجزار (1966- 1925م):

عبد الهادي الجزار صاحب تجربة رائدة في التنمية الفنية. فقد أسهم في بناء توجهات فكرية تتسم بالاستنارة في تاريخ الفن المصري الحديث. جمع في أعماله بين مقاربة الموروث المصري المتمثل في «الفن الشعبي» معبرًا من خلاله عن العادات والتقاليد المصرية، وصياغتها في قالب مصري من خلال تناول مفردات ورموز شعبية تتسم بالغموض. ومقاربة الاتجاهات العالمية المتمثلة في «ملامح السريالية العالمية»، حيث أسهم في تحول الفن المصري من الاتجاه الأكاديمي الغربي السائد في تلك الفترة إلى السريالية التي أضفى عليها الطابع الخاص. فظهرت في أعماله مقاربة للاتجاهات الفنية العالمية من «نزعة سريالية غير خافية، بالرغم من الاختلاف المذهبي في توجهه نحو التعبير عن المجتمع وليس عن الذات الباطنة. في أعماله يميل إلى إعلاء قيمة الغيبيات الهذيانية للسلوك الغريزي لأبناء الطبقة الشعبية الذين تحركهم القدريات الميتافيزيقية كبديل للعمل وللمعرفة، وهيمنة المصير الغامض» من خلال التنوع في الصيغ والأفكار. كما أضاف للفن المصري الحديث خبرات متعددة ومتنوعة ودَعَّم قضايا الوعي الاجتماعي المصري من خلال رؤية خاصة للفن المصري الحديث تتسم بإدراك الحقائق الحياتية للواقع المعاش، ليبلور فلسفته الفنية الخاصة بإضافة بعد تعبيري ومعرفي لأعماله، بالتعبير عن الأحداث القومية المصرية والواقع الاشتراكي لمصر في تلك الفترة بالاستعانة بالرموز الشعبية. وهو ما ظهر في عمله الفني لوحة «السد العالي»، حيث يعظم في العمل الفني قيمة العلم والعمل والعمال، مؤكدًا على تمجيد دور العلم من خلال «القناع الشفاف»، والعمل من خلال «الآلة». وفي مقاربته الموروث الحضاري المصري استعان بالتعبير والتدليل بالرمز ليتقارب الخيال مع الواقع المصري، ونَوَّع أسلوب معالجة الفكرة لتقارِب المحتوى بأسلوب أسطوري تخيُّلي، مستخدمًا بطل العمل بالحجم الكبير وهو ما فيه مقاربة لفكر ومفهوم الفن المصري القديم من دلالات فلسفية في تكبير الشخصية الأساسية والمحورية للعمل الفني لما له من دلالة لتعظيم وإجلال وإظهار عمق الشخصية وإعادة تشكيلها في بيئة العمل. كما أنه قارب ملامح الوجه مع وجه الرئيس جمال عبد الناصر كدلالة للسيادة الوطنية (رمز الدولة). واستعان بالكتلة والخطوط والنباتات للجمع بين النقيضين بطريقة سريالية. وجمع في الشخصية بين المكونات العضوية للوجه الإنساني والمباني والآلات في صورة رمزية تمثل دور الإنسان في بناء الحضارة الحديثة ونهضة مصر. وأظهر المضمون مباشرة ليُظهر التحدي والإرادة والصلابة في التطلع للمستقبل، وقدرة الإنسان على تغيير وجه الحياة في إيقاع بصري قوي ومتماسك وخيال فني إبداعي قارب من خلاله الاتجاهات العالمية السريالية لترجمة المفاهيم الجمالية.

الفنان: عبد الهادي الجزار. ، اسم العمل: السد العالي، سنه الإنتاج: 1964م، الخامة: زيت علي سيلوتكس.،

3- مقاربة الفن الشعبي وفن البوب عند رمزي السيد مصطفى (1926: 2015م):

رمزي السيد مصطفى من فناني جيل الطليعة، وهو صاحب فكر فني إبداعي؛ فقد تمرد على المعايير الكلاسيكية السائدة في تلك الفترة. وتميزت أعماله بكونها تشكيلًا لتجارب فنية صيغت بأسلوب مستقل وخارج عن الفكر المتداول والمألوف، فَلُقِّب بـ«رائد فن البوب المصري». وتَنوَّع في الأعمال الفنية ابتداءً من العمل الفني المركب والتجهيز في الفراغ. وقد اتسمت تلك الأعمال بالتلقائية والحيوية التي لا تستند في مجملها إلى القواعد الأكاديمية الصارمة، وبالتعبير من خلال أسلوب سردي له من الأصالة في «تركيب الحبكة الفنية والوصف الحكائي للمشهد الواقعي الذي تميز بالغزارة في الحصيلة البصرية». فقد مزج في أعماله بين مقاربة الموروث المصري المتمثل في «الفن الشعبي» كمنظومة اجتماعية مصرية لها طابعها الخاص، وبين الفكر الفني الغربي السائد (فن البوب) ولكن بصياغة وآليات مصرية، فلم يتناول منهجية الصياغة الغربية نفسها (لفن البوب والكولاج) من حيث البناء المحكم والتوليف في الخامة والعناصر. وقد أوجد لنفسه اتجاهًا مقاربًا لفكره الفلسفي وملامح وسمات البيئة المصرية ليقارب التعبيرية التجريدية من أنماط السلوك والمحتوي الثقافي للمفاهيم الواقعية، فاكتسبت أعماله طابعًا من المحاكاة للتراث، وهي تتقارب مع الفن الشعبي الذي يحمل خصوصية الواقع المصري التي تظهر المتغيرات الفكرية والاجتماعية ومعاني الفكر السائد، تبعًا للدلالة التي يشير إليها العمل من «الأداء، الموضوع، المضمون». كما تميزت الألوان المستخدمة في أعماله بقوة وصراحة في اللون وبتنوع وباختلاف درجاتها، فأضفت على العمل الحيوية والحركة. وأيضًا تناول المجسم مع المسطح في تناسق مستعينًا بالقصاقيص الورقية، وكانت الخامات التشكيلية المستخدمة جاهزة الصنع ومصنعة ليبرز الفلسفة التعبيرية لأعماله، أحدها عمل ثلاثي الأبعاد (المركب) لمركب منفذة من الخشب ولها شراع خشبي، يعد وحدة فنية تجمع بين البارز والغائر ومقاربة «سفينة نوح»، فقد عبر عنها برؤية تشكيلية، فهي تمثل جزءًا من الذاكرة الجمعية لدي المواطنين.

الرسومات تجمع بين البساطة والتلقائية مع الألوان التي تمتلئ بالطاقة والقوة التعبيرية التي تعطي دلالة على البهجة، مع اختلاف درجات اللون، وتحويل العلاقات اللونية إلى طاقة انفعالية والتعبيرية في نسق فني متكامل وتناغم يريح الرؤية البصرية ويدعم الأداء العصري بتلقائية وعمق الفن الشعبي «السهل الممتنع».

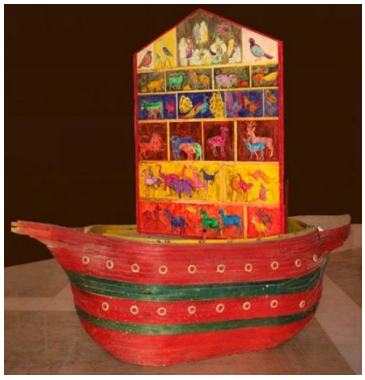

الفنان: رمزي مصطفى. ،اسم العمل: مركب خشب لها شراع خشبي. ، سنة الإنتاج: 2010 م، الخامة: خشب وخامات أخرى مع ألوان. ،الحجم: 270سم×120سم×92سم.

أولًا: نتائج البحث:

ساعدت الاكتشافات والمقاربات في توسيع الحدود الإدراكية للفنان المصري.

إن ظهور إبداعات المقاربة الفنية في الفن المصري الحديث تتمثل في القدرة على الجمع بين الموروث والاتجاهات العالمية الحديثة.

استمد الفنان المصري الحديث من الموروثات الحضارية الحلولَ العصرية والخبرات الفنية بطريقة الشعورية واللاشعورية.

دلت دراسة المقاربة الفنية على خصوصية الفن المصري الحديث الذي تميز عن باقي الفنون العالمية بالجمع بين الفن المصري القديم والحديث.

ثانيًا: توصيات البحث:

1. الاهتمام بمقاربة الثقافة البصرية لإدراك المتغيرات البيئية.
2. دراسة دور الفن المصري المعاصر لتنمية الدور الجمال والوعي البيئي في المجتمع.
3. رصد الثقافات المتوارثة لمقاربة المتغيرات البيئية.

ملخص البحث:

تميز الفن المصري الحديث بالمقاربة الفنية بين الموروث الحضاري واتجاهات الفنون العالمية التي دعمت إنتاج معايير فنية مخالفة للغة والقيم التشكيلية والجمالية. واهتمت المقاربة الفنية بدراسة البنية الداخلية والخارجية لمدلول العمل الفني والاعتماد على التسلسل المنطقي في البحث والتفكير. ويعد الفن المصري الحديث ذا طبيعة متميزة جمعت بين ما هو موروث من قيم وعادات وما هو موجود على الساحة الفنية من ترجمة للمخزون الثقافي للفكر الفني العالمي. فقد تناول الفنان الأعمال الفنية بالدمج ليكوِّن خصوصية فنية للواقع المجتمعي المعاش بكل تجاربه وخبراته ومظاهره. حيث أسهمت الخبرة الجمالية التكاملية في تنظيم وانتقاء الأساليب الفنية ليتم بلورتها طبقًا لما تحدده المتغيرات العصرية والعالمية المتلاحقة لمواصلة التعايش والتفاعل مع الآخر. فقد أسهم تعدد المخزون الكمي من الفكر الفني في تنوع محصلة الخبرات الفنية بين التصورات والاحتياجات التي دعمت مقاربة الفكر الفني لتوظيف الخيال الإبداعي، ليتفاعل الفنان مع الموروثات البيئة والحضارية من فن مصري قديم، وقبطي، وشعبي، وإسلامي، كأحد المصادر والركائز الأساسية لتشكيل الخبرة الفنية المصرية من لغة بصرية وتعبيرية. فالفن المصري قديمًا وحديثًا يتسم بالمرونة والقدرة على التطور كونه ليس كيانًا جامدًا، ولكنه كيان يستجيب لتطورات العصر من مؤثرات محلية وعالمية -وهي تعد أحد أسباب استمرارية التطور الفكر الفني- وتنوعٍ في فلسفة لغة التعبير السائدة من حيث تناول الخامة والتقنيات لتطويع الصيغ الفنية لتأكيد المضمون التعبيري الذي ينشده. ولم ينفصل الفنان عن الواقع المعاش، فقد ذخرت الساحة الفنية المصرية بفنانين أثْرُوا الحياة بأعمالهم التي تناولت الواقع والبيئة المعاشة بأسلوب واتجاه تمتزج فيه الأصالة بالخصوصية والدلالات الفنية المتنوعة التي واكبت وقاربت التحولات والاتجاهات العالمية، وذلك بدرجة عالية من الفكر الواعي والمستقل، لتأصيل الهوية المصرية بالخبرة الشمولية من تكامل وتقارب في المعارف والاتجاهات لتكون بمنزلة المحفزات لمقاربة وربط الماضي بالحاضر.

المراجع

أولًا: المراجع العربية

1. أمل مصطفى: ميراث الحضارة في الفن المصري الحديث،دار الكتب، 2019م،
2. جبران مسعود: معجم الرائد، 1384 هـ/ 1965م.
3. رمضان بسطاويسي: جماليات الفنون (الفن والحضارة في فلسفة هيجل) دراسات أدبية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
4. عبد الغني أبو العزم: معجم الغني، 1421هـ/ 2001م.
5. عبد المجيد الجحفة: مدخل إلى الدلالة الحديثة.. نظرية الجشطالت في العلاج النفسي Gestalt theory، دار توبقال، الدار البيضاء، 2012م.
6. محسن عطية: طليعة التجديد في الفن المصري الحديث، ذاكرة الفنون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 15، مارس 2016م.
7. مصطفى الرزاز: الفن المصري الحديث- القرن العشرين، قطاع الفنون التشكيلية، 2007م.
8. المنجد في اللغة والأعلام، دار الشروق، بيروت، الطبعة الثلاثون.
9. نجيب العوفي: مقدمة «سيرة للعته والجنون»، مطبعة تريفة، المغرب، الطبعة الأولى، 2002م.
10. يوسف أسعد ميخائيل: الانتماء وتكامل الشخصية، مكتبة غريب، القاهرة، 1992.

ثانيًا: الأبحاث العلمية والمقالات

11. أحمد عزت سليم: الألعاب كمحاكاة للحياة الشعبية، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 360، سبتمبر 2020م.
12. أمل مصطفى: التناص والمقاربة في الفن التشكيلي المصري المعاصر، بحث منشور، مجلة أمسيا، العدد 12، يناير 2018م.
13. سالم شدهان غبن: المقاربات الفنية لاشتغال الفنون التشكيلية بالسينما، بحث منشور، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 50، سنة 2018م.
14. لولا إبراهيم متري سرجه: تصميم برنامج في التربية الفنية لتنمية المفاهيم الفلسفية والجمالية لاتجاهات فنون ما بعد الحداثة وقياس أثره على إثراء التعبير الفني لطلاب المرحلة الإعدادية، رسالة ماجستير، 2006م.

15. محمد البقالي: المقاربة الحجاجية لكتابات الجاحظ، بحث منشور، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 173، يناير- مارس، 2018م.
16. منى إبراهيم أحمد العيادي: المفاهيم الفنية والجمالية لتأويل دلالات الوعي الجمعي المصري كمدخل لإثراء التعبير في التصوير المعاصر، رسالة ماجستير، 2020م.
17. الفن التشكيلي في مقاربة الفيلسوف موريس ميرلو بونتي، مجلة محكمة، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، العدد 32، 2014م.

ثالثًا: الكتب المترجمة

18. أرنست فيشر: ضرورة الفن، ترجمة أسعد حليم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م.
19. جوست زفارت: البنيات التركيبية والبنيات الدلالية (علاقة الشكل بالمعنى في اللغة) – X-bar Syntax X-bar Semamtic، ترجمة عبد الواحد خيري، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.

رابعًا: مواقع الإنترنت

20. ما معنى المقاربة النصية؟ l http: llwww. startimes. com ?t=28551289
21. النظرية التحليلية +حصة تطبيقية .salim –mezhoud – hooxs com